دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الزى والهوية الثقافية بين الانتماء والاغتراب: بحث انثروبولوجية في المجتمع الليبي
المصدر:	مجلة المعرفة
الناشر:	جامعة الزيتونة - كلية التربية - بني وليد
المؤلف الرئيسي:	الأحمر، جمعة عمر فرج
المجلد/العدد:	ع3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	يونيو
الصفحات:	276 - 287
رقم MD:	823643
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	المجتمع الليبي، الزى، الانثروبولوجيا الثقافية، الهوية الثقافية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/823643

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الزى والهوية الثقافية بين الانتماء والاغتراب
بحث انثروبولوجية في المجتمع الليبي

د. جمعه عمر فرج الاحمر*

مقدمة

تعتبر الأزياء مظهرا من مظاهر التي تعيشها الشعوب، ويعتبر الزى من أهم عناصر الثقافة المادية التى تحدد ظاهريا على الأقل انتماء الفرد إلى جماعة ثقافية أو عرقية معينه، وينعكس ذلك بصوره واضحة في التنوع الهائل من الخامات المستخدمة في صنع الملابس،هو تنوع يرتبط عادة بتنوع البيئات الجغرافية التى يعيش فيها الإنسان، مما ينعكس في تنوع الألوان والطرازات التى يكون لمنظومة القيم الثقافية السائدة دور كبير في اختيارها.

ورغم إن الأصول الأولى للزى والزينة مازالت غامضة فانه يبدو إن هناك دوافع عالمية وراء جميع اشكال السلوك المرتبطة بالزى، وربما تطورت الملابس الأولى من الحاجة إلى الاحتماء من البرد الشديد إلا إن الإنسان ما أن اطمأن إلي قدرته علي الحصول على احتياجاته الجسدية حتى بدا في ابتكار وتجميع أشياء من شأنه أن تحقق له مكانه اكبر بين اقرأنه، وقد يكون بمقدور الإنسان الغنى أن يرتدى قدر أكبر من المجوهرات أو نوعيه الملابس اكثر فخامة ولكن الجوانب الوظيفية للملبس تبقى نفس الجوانب التى يشترك فيها الغنى مع الفقير(1).

وتتجلى وظيفة الزى من حيث هو وسيلة تكيف وتأقلم مع الظروف المناخية المتطرفة في اتخاذ سكان المناطق القطبية لملابس تغطي جميع أجزاء الجسم وتلتصق به التصاقا شديدا، وربما يرجع أصل السروال إلى المنطقة القطبية حيث هناك حاجة إلى نوع من الملابس تغطى الأطراف بإحكام للمحافظة درجة حرارة الجسم، كما تتجلى هذه الوظيفة ذاتها في اتخاذ سكان المناطق الاستوائية لملابس واسعة ربما بدأت بما يشبه التنورة المعلقة من حزام حول مفصل الورك، وتصنع الملابس الاستوائية عادة من مادة نباتية(2).

ومن ناحية أخرى فانه يمكن تتبع أول رموز للزى في تاريخ الإنسان إلى العصر الحجري عندما كان الصياد يزين نفسه بقرون الوعل أو جلود الحيوانات التى قتلها كإشارة أو علامة على انجازه ، وفى العادة كان قائد الجماعة أو القبيلة يمنح علامة مميزة في الزى لإبراز مركزه ، ومن هذه البدايات تطورت مجموعة معقدة من عمليات

* كلية الآداب والعلوم – ترهونة

المفاضلة بين المكانات كالتيجان التى يلبسها الملوك والملكات والأردية الموحدة بصفة عامة التى تدل على رجال الشرطة والرهبان والقضاة ورجال البريد والبحارة والطهاة والبوابين(3).

ومن هنا فان الزى بأشكاله وألوانه التى تتباين تباينا شديدا رمزا للانسجام الاجتماعى والمرتبة الاجتماعية، كما انه يعتبر علامة على مهنة الفرد، يعتبر الزى علامة علي انتماء الشخص إلى جماعة معينة ويتمثل هذا الرمز في اي شئ يستخدم لتغطية جسم الإنسان وجذب الانتباه إليه، فيعرف على انه اية زينة جسدية أو اي تغير في مظهر الإنسان (فيشمل بذلك بعض السمات الثقافية كالوشم و أدوات التجميل و تصنيف الشعر وما إلى ذلك(4).

وفضلا عن وظيفة الزى كوسيلة لتحديد هوية الإنسان وخلق الإحساس بالانتماء والمحافظة على صحة الجسم وراحته ،فانه يلعب دورا كبيرا في تأسيس جنس الفرد كذكر أو أنثى،وفى دعم الجاذبية الجنسية، وكامتداد لجسم الإنسان، بالإضافة إلى الوظيفة الطقسية للملابس وهي وظيفة ترتبط بدورة الحياة في جميع المجتمعات البشرية تقريبا،فلكل مرحلة من مراحل هذه الدورة زى خاص يرتبط بها، كارتباط طقوس الزواج بالملابس البيضاء وطقوس الموت بالملابس السوداء مثلا، وفي المقابل هذه التحليل الانثروبولوجي للزى كوسيلة تكيف مع البيئة من الناحية، وكرمز له دلالته في تحديد ملامح الهوية الثقافية والبناء الاجتماعي من ناحية أخرى، برز في القرن العشرين مفهوم لا يقل أهمية عن مفهوم الزى بصفة عامة، ونعني بذلك انتشار شكل معين من اشكال الزى في فترة زمنية معينة من تاريخ الجماعة وبين أفراد فئات اجتماعية معينة، وقد يطلق على هذا الشكل تعريف الزى السائد أو زى الصفوة أو زى الطبقة الراقية في المجتمع، وهو شكل من الزى لم يعرف له العرب مفهرم خاصا به يدل على المعنى الدقيق الذي تحمله اللفظة الأجنبية الدالة عليه في الثقافة الغربية.

وبصفة عامة فانه يمكن تعريفه بأنها عناصر أو أنماط سلوكية لامنطقة وانتقالية تعاود الظهور في المجتمعات التي لا توجد لها رموز مستقرة للمكانة في الوقت الذي يسعي أعضاؤها للحصول علي اعتراف بمكانتهم للتعبير عن ذواقهم من خلال الميل إلي محاكاة الصفوة وهذا التقليد يمثل قنوات التعبير عن الأذواق الجماعية مما يؤثر بدورة في إحداث تغيرات اساسية في الحياة الذاتية للإفراد وفي نظامهم المعياري .

تساؤلات البحث .

1- ما نوع العلاقة بين زى الشخص والزى التقليدي الشائع في المجتمع ؟

2-إلي أي مدي يحرص الشخص عن متابعة الأزياء وما سبب ذلك الحرص؟

3- ماهي الضوابط التي تحدد موقف الفرد من متابعة احداث الملابس؟

4- ماهو شعور الفرد من حيث الانتماء والاغتراب تجاه جماعة ترتدي نفس الزى الذي يرتديه وجماعة ترتدي زيا مخالفا؟

5- إلي أي مدي تتعارض احداث طرازات الملابس مع منظومة القيم السائدة في المجتمع ؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلي رصد موقف الإفراد حول قضية تشكل في مجموعها عنصرا من العناصر التي تتألف منها الهوية الثقافية للفرد والجماعة وهي قضية الأزياء في المجتمع.

أهمية البحث

1-إن هذه الدراسة إنما هي محاولة بقدر الامكان للوقوف عن تطور الأزياء في المجتمع الليبي ؟

2- إن دراسة الأزياء في المجتمع الليبي دراسة انثروبولوجية تعتمد علي عدد من المفهومات المادية ذات الصلة بملابس الإنسان في الريف والحضر، وتطور هذه الملابس من خلال تغير شكل الزى السائد في المجتمع واستخلاص المواقف والمعتقدات التي من شانها القاء الضوء علي الثقافة الليبية .

منهج البحث: تعتبر دراسة الأزياء من الدراسات الحديثة إلي تتطلب بحكم طبيعتها وتعدد الزوايا التي يمكن بحث الموضوع فيها منهجا خاصا ويجمع بين بعض الأساليب المنهجية المستخدمة في علوم مختلفة ،وقد تم استخدام المنهج الانثروبولوجي و المنهج الوصفي التحليلي

أداة البحث: تم الاعتماد على دليل العمل الميداني فى جمع المعلومات من الأفراد الذين تمت مقابلتهم

مجتمع البحث: تم اجراء هذا البحث فى منطقة ترهونة التى تجمع فى سكانها بين الريف والحضر فى مركز المدينة

مفاهيم البحث.

نموذج الزى:- يمثل نموذج في جماعة اجتماعية معينة كما يعني الالتزام بهذا النموذج قبوله أو التمسك به اى ارتداء الملابس طبقا لمعيار تضعه الجماعة

الطراز :-يقصد بهذا اللفظ الشكل المميز أو الخاص للملابس الذي يرتبط بصفات أو ملامح معينة يمكن التعرف عليها وتميزه علي الأشكال الاخري

الأزياء :- هو تعبير يمثل اكثر اشكال السلوك الزى شيوعا بين مجموعة معينة من الأشخاص، بعبارة أخري اكبر درجة من التكرار للطراز فلو إننا لاحظنا بسلوك مجموعة من الإفراد من حيث الزى لامكننا أن نحصي عدد المرات التي يرتدي فيها كل شكل من اشكال الملابس المتنوعة .

الهوية الثقافية : هي مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية الليبية وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى ، وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين والتاريخ والتراث والعادات والتقليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية .

الانتماء: يعني الارتباط والانسجام والإيمان مع المنتمي إليه وبه، وعندما يفتقد الانتماء لذلك فهذا يعني أن به خللاً ومع هذا الخلل تسقط صفة الانتماء. الانتماء كمفهوم ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية ويعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع آخر وفي الحقيقة أن دافع الانتماء إذا توافر لدي الفرد وتحفز يبلغ من القوة أنه يستطيع أن يعدل كثيراً من سلوك الفرد حتى يصبح سلوكه مطابقاً لما يرتضيه مجتمعه.

الاغتراب :هو ما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته حيث ينفصل عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته ،وينشأ من خبرات الفرد التى يمر بها مع نفسه ومع الآخرين، ولا تتصف بالتواصل والرضا ويصاحبها كثير من الأعراض مثل العزلة والاحساس بالتمرد والرفض والانسحاب والخضوع.

المدخل التاريخي للدراسة . من المؤكد إن فكرة الزى السائد قد وجدت قبل ماصطلح علي تسميته بالعصر الحديث، ورغم أن وجودها قد اقتصر علي دوائر النخبة الانها قد تعايشت مع زى الجماعات الاجتماعية المختلفة، والزى السائد فيها (5) تشهد بذلك شواهد نجدها في نصوص متفرقة لأدباء ومفكرين وفلاسفة عاشوا قبل هذا العصر الحديث من ذلك مثلاقول(لورد تشسترفيلد) في رسائله إلي ابنه 1750 إذا لم تكن ترتدي الزى السائد فأنت لا تمثل شيئا وقول (توماس فولر) قي سنة1732أن الزى السائد حاليا هو زى أنيق دائما،وقول(لاروشفوكو)1665 إن الجزء الأكبر من الجنس البشري يحكمون علي الناس فقط بمدي اتباعهم للزى السائد أو بما لديهم من ثروة (6)، ورغم محولة النقاد الثقافيين حديثا انتزع مفهوم الزى السائد من تراثه الأوربي الذي استأثر به وذلك بوضع تعريف جديد له بأنه حركة دينامية بين الجسم والموطن الاجتماعي اشتركت فيها جميع الشعوب ، فان هذه الاتجاهات لا ينبغي أن

تحجب عن الحقيقة التاريخية القائلة بان اقتران الزى السائد بالحداثة الأوربية هو مفهوم ظهر منذ قرون عديدة وامن به كثير من الناس خارج العالم الغربي(7) .

وفي الأربعين سن الماضية أصبح الزى السائد وسيلة اتصال جماهيرية تماما وإدخال تغيرات عميقة علي طبيعة علاقته بالزمن والعالم والقيم والايدولوجيا ،وإذا كانت مقدمات ذلك البعد الجماهيري –الفعلي أو المحتمل – قد ظهرت فعلا في نهاية القرن التاسع عشر فإنها لم تتأكد إلا في النصف الثاني من القرن العشرين (8).

ولقد ارتبط تطور النظرة إلي الزى والتغيرات التي تطرأ علي اختلاف مسمياتها بتطور وضع المرأة في المجتمع واقتحامها مجالات ظلت لزمن طويل حكرا علي الرجال ،فمع تأسيس الجامعات في الولايات المتحدة وفتح أبواب التعليم العالي لبنات الأسر الأمريكية وأبنائها علي السواء لم تعد المرأة تقنع بقول الحياة التبعية ، وبقبول المرأة للعمل في الوظائف المكتبية والمهنية دخلت في منافسة مع الرجال كانت فترة جديدة واقتصادية بحتة ، وفي الوقت نفسه شهد المجتمع انطلاق اختراع جديد هو الدراجة التي ترتب علي التحمس لركوبها باعتبارها رياضة نسائية ،ظهور مشاكل بين الداعين إلي المحافظة علي الأخلاق تمثلت في الإجابة علي هذا السوال : أي الأمرين اسو ، ورفع التنورة بحيث تكشف الكاحل وأسفل الساق أو تغطيه الساقين بالبلومزر وهو سروال فضفاض مضموم عند الركبتين كانت النساء تلبسه عند ممارسة الألعاب الرياضية ، وكسبت السروال الفضفاض المعركة ،وكان إرهاصا بتطور الزى الوظيفي في مجال الألعاب لقد هيأت الملابس التي تعرى الجسم والتي اقترنت بممارسة الألعاب الرياضية المجتمع كله لمجموعة جديدة من القيم تتجه إلى تعرية جسم الأنثى وتسهم بدرجة كبير في تحرير المرأة الحديثة من السلوك المفروض عليها تقليدا من الأجيال السابقة(9).

ولقد كان من شأن مفهوم الزى السائد وما ترتب عليه من تعريض جسم الإنسان لعمليات تحول لا نهائية إن قلب التوازن وقضى على الوظيفة الصارمة للملابس التقليدية،بل وعكس وظيفة الأقمشة في تغطية الجسم بان جعلها شفافة،وحول الجسم إلى عملية عقلية تكون جزءا لا يتجزأ منه جسما معرضا للتحولات والانفتاحات الغربية على العالم،وجسما يشعر بكل ما يشعر به العالم ويتذوق كل ما يتذوقه ببساطة بالغة إذا ترك نفسه ينفتح عليه(10).

وعندما نتحدث عن الزى الزى السائد فان ذلك يتضمن حتما الإشارة إلى جسم الإنسان أو بالأحرى الأجسام التى يغطيها الزى السائد،فالجسم المغطى هو موضوع في طور الصنع،أو موضوع يجرى إنشاؤه عن طريق هيئة وطريقة ظهوره،وبهذا

المعنى فان الجسم يكون أداء وعملية انشاء مستمرة للهوية المادية كما يكون بمثابة البعد الدنيوي للذاتية(11).

إذا كان الزى السائد هو النظام الذي تقرر فيه قواعد الزى، فقد كان أول من وصف هذه القواعد من وجهة النظر السوسيولوجية هو(جورج زميل)في سنة 1895 حيث عرف الخصائص الأساسية للزى السائد في اطار ثلاثة عناصر متتابعة هي البعد الزوالي،وتأكيد الجماعة الاجتماعية لذاتها،والعلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع.

وظائف الأزياء: وإذا كانت وظيفة الملابس تتركز اساسا في كونه وسيلة تكيف وتأقلم تحقق الانسجام بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وتعبر في الوقت ذاته عن المرتبة أو المكانة الاجتماعية للفرد فان الأزياء ربما كانت تتمثل في القيمة التى يمثلها الزى إلى الفرد الذي يرتديه،فالأزياء تمده بالإحساس النفسي وتجدد من اهتمامه بذاته وتقدير لها،كما انها تنشئة من الإحساس بالاكتئاب وتثرى تجربته الشخصية(12).

اما من وجه النظر العلمية فان الأزياء تمثل ظاهرة فريدة تسهل القيام بتحليل اجتماعى لا يمكن تحقيقه عند التأمل مع بعض الظواهر الأقل مادية فى السلوك البشرى ،فالموضات يمكن تحديد تاريخها بدقة إلى حد ما وطول التنورة وابعادها الأخرى يمكن قياسها وعدد الأشخاص الذين يرتدون الأزياء يمكن حصرهم وبداية ونهاية كل دورات الأزياء يمكن تقريرها عادة بدقة نسبية(13)، ويقول (يونج) إن الأزياء كشكل للسلوك تتعلق بالأشياء الشائعة في المجتمع كالملابس والأثاث والمساكن وطائفة هائلة من المظاهر الاجتماعية في حين يؤكد(بونر) إن مفهوم الأزياء لاينطبق علي الأزياء والملابس فحسب، ولكنه يستخدم ايضا في الإشارة إلي اي نشاط متكرر يشبع اهتمامات عدد كبير من الناس ،(14) ويعد (روبرت بيرستيد) من بين أولئك الذين يتبنون منظورا خاصا في دراسة الأزياء ،فالفرد فى رايه يسعي إلي ايجاد نوع من التوزان بين مطالبة الشخصية والمطالب المجتمعة حيث يكون هناك ميل لدي الناس أن يكونا فى موقف متشابه للارفاقهم واقرانهم ، وفي نفس الوقت الذي يهتمون فيه بوجود فوارق بينهم وربما كان السبب الأساس في امتثالهم للمعايير أنهم يحققون نوعا من التوحد مع جماعتهم ، ولكنهم في الوقت ذاته يرغبون في التعبير عن فرديتهم المتميزة،والأزياء هي وسيلة مفيدة في الوفاء بهذه الرغبات المتعارضة(15)

ولقد اشار (هولتكرانس) في قاموس الانثرلوجيا والفلكلور إلي الأزياء باعتبارها السلوك الممثل للأفكار السلوكية السائدة في مجتمع الطبقة العليا (16)

الدراسة الميدانية : لوحظ من خلال الدراسة الميدانية إن الخصائص العامة التي يتميز بها زى السكان رجالا ونساء هي الاحتشام ومراعاة القواعد الدينية ، والاهتمام

ايضا بمراعاة بعض الأعراف التي تجعل من الزى الريفي التقليدي ثراثا متوارثا عن الآباء والأجداد

فالزى بتغطيته أجزاء الجسم يحقق هدف الاحتشام من ناحية ،ويخدم غرضا دينيا من ناحية أخري فاما الاحتشام فيرتبط بفكرة الحياء التي تتميز بها المجتمعات الريفية ،واما الجانب الديني الذي يربط بستر العورة للذكور والإناث

كما يرتبط الزى الريفى للرجال بالمناسبات الاجتماعية المختلفة ففي المناسبات الهامة يحرص الرجال علي ارتداء الزى الشعبي، والي جانب هذه الوظائف الثقافية لزى في الريف هناك الوظيفة الايكولوجية التي تمثل التفاعل بين الإنسان وبيئته، فالملابس الصيفية مثلا لونها الأبيض تساعد علي انعكاس أشعة الشمس وتساعد علي تهوئة الجسم وعدم الشعور بالضيق فضلا عن سهولة ارتدائها ،حيث يميل أهل الريف إلي السهولة واليسر في حياتهم ،ولاتختلف الملابس التقليدية للمرأة الريفية من حيث وظيفتها الثقافية والايكولوجية عن ملابس الرجال فزى المرأة عادة يتميز بالطول والوسعة ويتميز بالاحتشام ويغلب عليه اللون الأسود في الوقت الحاضر، فالمرأة يجب أن ترتدي العباءة أو الجلاباب اثناء تجولها في الأسواق أو عند زيارتها الاجتماعية المختلفة .

وفي مقابل هذه الأعراف والقيم التي تنطوي علي قدر غير يسير الصرامة في التعامل مع الزى في الريف، فأن المجتمع الحضري لايكاد يعرف زيا معينا لانتشار الزى ويجعل منع عنصرا محددا من عناصر الثقافة المادية للمجتمع ففي المدينة تختلط الأزياء الريفية التقليدية والأزياء الحديثة التي دخلت نتيجة الاحتكاك الثقافي مع المجتمعات الاخري سواء بالسفر أو وسائل الاتصال الحديثة ،ويصعب تصنيف المجتمع الحضري إلي فئات محددة حسب الزى، في حين يمكن تقسيم المجتمع الريف إلى فئات حسب العمر ،فالأزياء الريفية التقليدية تنتشر بين الإفراد الذين تجاوزا سن الاربعين، أما فئة الشباب والذين يتلقون تعليما عاليا أو متوسطا فيغلب علي ملابسهم طابع التحضر نتيجة الاحتكاك، وهناك فئة كبار الموظفين في المجتمع الريفي كالقضاء والأطباء وأساتذة الجامعة هولاء يرتدون البدلة أو الزى الرسمي الحضري لاصحاب المناصب العليا في المدينة ،ولكنهم ما أن يعودوا إلي منازلهم يتخلصوا من الزى الحضري ،ويهرعوا إلي الزى التقليدي الذي يجدون فيه الرحة والتحرر من القيود التي تفرضها عليهم طبيعة عملهم.

الجوانب السلوكية المرتبطة بالأزياء في المجتمعين الريفي والحضري: امكن من خلال اجابات الأشخاص الذين شملتهم المقابلات الشخصية علي الأسئلة الثلاث

الأولى والخاصة بالعلاقة بين زى الشخص والزى الشائع في الجماعة المحيطة به،ومدى حرصه على متابعة الأزياء،والضوابط التي تحدد موقفه منها رصد بعض المواقف السوكية المرتبطة بالأزياء في المجتمعين الريفي والحضري،والتي تتمثل فيما يلي:

شعر أبناء المجتمع الريفي من فئة الشباب . ذكورا وإناثا بوجود اختلاف بين ما يلبسون وبين الزى الريفي والتقليدي الذي يرتديه جيل الإباء والأمهات،وتتميز متابعتهم للموضة بالوعي بهذا الاختلاف والاستهانة به في نفس الوقت،الأمر الذي ينعكس في حرص هذه الفئة على متابعة احداث الأزياء . تشبها بأبناء المجتمع الحضري ،وذلك في ظل مجموعة من الضوابط التي تتحدد قدرة الفرد على متابعة وتقليد هذه الأزياء أهمها مجموعة القيم الدينية، حيث لا يزال للعامل الديني سطوة في المجتمع الريفي التقليدي،فيلاحظ مثلا إن هناك من الشباب من يوافق على متابعة الأزياء بشرط عدم تعارضها مع منظومة القيم السائدة في المجتمع وبالذات القيم الدينية اما فئة كبار السن،وتحديدا جيل الإباء والأمهات ، وهو ما ينسحب تلقائيا على جيل الأجداد والجدات فتتمسك بزيها التقليدي،ويرجع هذا التمسك إلى الأسباب الثقافية أو الايكولوجية التي سبقت الإشارة إليها، ويرون في مسايرة الأزياء فسادا اخلاقيا أو انحرافا عن المعايير الاخلاقية التي يجب الالتزام بها في الزى والسلوك، فالضوابط الدينية والاخلاقية لها تأثيرها الواضح في رفض فئة كبار السن لمسايرة الأزياء ومتابعة احدث الأزياء التي تنال في رأيهم من وقار الفرد واحترامه.

اما في المجتمع الحضري فان عامل السن، أو الاختلاف بين الأجيال، لا يمثل عنصرا حاسما في متابعة الأزياء أو عدم متابعتها ، ففي المدن، باعتبارها نماذج للمجتمع الحضري، تختلط الأزياء الحضرية بالأزياء الريفية باختلاط الانتماءات الجغرافية والمهنية والطبقية (حيث المجتمع الحضري ومعاييره الخاصة للتدرج الطبقي) ويصعب تقسيم المجتمع إلى فئات عمرية أو جيلية على اساس الزى فقط، ورغم ذلك فانه يمكن أن نلاحظ زيادة اقبال الشباب على احداث ما تأتي به الأزياء،حيث يكون الاحتكاك الثقافي بالمجتمعات الأكثر تقدما (ولو بالاطلاع دون المعايشة الفعلية) من خلال وسائل الاعلام والاتصال الحديثة اثر كبير في نشر الأزياء وفي مثل هذا المجتمع المفتوح، لا يكاد الفرد يشعر بوجود اي تعارض بين ما يلبسه هو وما يلبسه الآخرون في المجتمع ، وذلك لتعدد واختلاف الأزياء من الناحية ،ولعدم وجود الزى التقليدي الذي يرتبط باي ضوابط دينية أو عرقية ، وان كان من الملاحظ بين كبار السن في المجتمع الحضري وجود ميل إلى ترجيح الالتزام

بقدر من الاحتشام ومراعاة الاعتبارات الدينية دون تحديد واضح لما يجب أن يلبس الشخص كما إن نسبة لا يستهان بها من الشباب في المجتمع الحضري تعترض على التقليد الأعمى للموضة ، بينما ترحب بها إذا كانت مناسبة لشخصية الفرد وعمره واخلاقيات المجتمع ، وفي مقابل العامل الدينى المؤثر فى المجتمع الريفى ، فأن العامل الاقتصادى يحتل مرتبة متقدمة فى المجتمع الحضرى بين العوامل التى تحدد مدى متابعة الأزياء حيث ينظر إلى المال باعتباره العامل المتحكم فى الزى.

الجوانب النفسية : يتميز الجانب النفسى فى السلوك الملبسى للإنسان بتوتر ملحوظ بين احساس تجاه الزى خارج المنزل حيث تعمل الملابس التى يرتديها على تهيئة المسرح للتفاعل الاجتماعى بين افراد المجتمع، وأداء الأدوار الاجتماعية المحددة لكل فرد.

وعلى الرغم من اجماع جميع الأفراد الذين شملتهم المقابلات الشخصية ذكورا أو إناثا فى المجتمعين الريفى والحضرى ، ممن يتابعون الأزياء على ارتداء الملابس الحديثة وفقا لأحدث اتجاهات الأزياء يحقق للإنسان شعورا هائلا بالفخر والسعادة والرضى عن النفس فان هناك اجماعا وبنفس الدرجة على ارتداء هذه الملابس أو اى ملابس أخرى يستلزمها الدور الاجتماعى للفرد خارج البيت يشكل قيدا على حركة الفرد خاصة عند مقارنة شعور الفرد داخل المنزل حيث يتحرر من هذه الملابس المقيدة للحرية ،ويرتدى الملابس التى يعيش بها أفراد أسرته وتحقق له الراحة، سواء كانت هذه الملابس حضرية أو ريفية.

ويرتبط بالتأثير النفسى للسلوك الملبسى من حيث مدى مسايرة الفرد للموضة ما يمكن أن نطلق عليه مكملات الملابس إن الهيئة العامة للشخص والتى تنتشر فى المجتمعات المختلفة بنفس طريقة انتشار الأزياء ،ومن هذه المكملات النظارات الشمسية وجهاز التسجيل المحمول والهاتف المحمول وسلاسل المفاتيح ، وربما كان ارتباط هذه المكملات بالتقدم التكنولوجى من ناحية، والأوضاع الاقتصادية من ناحية أخرى ، وهو السبب فى انتشارها فى المجتمع الحضرى بدرجة اكبر من انتشارها فى المجتمع الريفى، حيث تستخدم فى المجتمع الحضرى كدليل وجاهة اجتماعية أو ثراء ربما حقيقى أو مزعوم ،بينما اظهرت المقابلات الشخصية التى أجريت فى المجتمع الريفى إن الخجل من استخدام هذه المكملات مازال عاملا مؤثرا يحد من استخدامها حيث يرى البعض إن استخدام هذه المكملات يتعارض مع الأعراف والتقاليد فضلا عن العبء الاقتصادى الذى تمثله.

التأثير الاجتماعى للأزياء بين الانتماء والاغتراب:

إذ كان ارتداء زى معين فى مكان معين يخلق احساسا بالانتماء إلى الجماعة (كارتداء القميص والبنطلون أو البدلة فى مكان العمل ، وارتداؤه بدلة التدريب فى النادى الرياضى، وارتداء الزى الموحد بين الأفراد اى جماعة يتطلب عملها ارتداء هذا الزى) فان مسايرة الأزياء تخلق نفس الاحساس بالانتماء بين جميع الأفراد الذين يتابعون الأزياء فى المجتمع الريفى والحضرى ، فقد يضطر بعض الأفراد إلى ارتداء زى معين لا يتناسب مع شخصياتهم وعمارهم ، ولكنهم يرتدونه مسايرة الجماعة ، فالازياء فى نظرهم هى مسايرة المحيطين بهم فى لباسهم وخاصة جماعة الأصدقاء كما اكد بعضهم إن جماعة الأصدقاء هى الجماعة الوحيدة المؤثرة فى نوعية الملابس التى يرتدونها، ومن هنا فان الأزياء تخلق احساسا بالانتماء بين اتباعها بغض النظر عن المركز الاجتماعى أو الاقتصادى للفرد، وحينما يكون النمط السائد للسلوك فى جماعة ما مثلا الشعر القصير فان الشخص الذى لايلتزم بهذا النمط لابد وان يستشعر قدرا من التوتر النفسى لخروجه على هذا النمط، ويصدق ذلك ايضا على الالتزام بزى معين من حيث اللون أو الشكل أو الخامة المستخدمة.

ان دراسة الشعور بالتوتر بسبب التعارض بين سلوك الفرد والنمط السائد فى السلوك فى الجماعة التى يعيش فيها هى المدخل الطبيعى لاختيار مدى تعارض الأزياء مع منظومة القيم السائدة فى المجتمع ، فإذا كان الخروج على الأزياء وسط الجماعة تتمسك بها تمثل انحرافا عن النمط السائد فان اتباع جماعة معينة للموضة يعتبر انحرافا عن النمط السائد بين الجماعات الأخرى التى يتكون منها المجتمع، ومع تفاوت الالتزام بأنماط الزى التقليدى السائد فى المجتمع يتفاوت انتشار مسايرة الأزياء فى المجتمع الحضرى عنه فى المجتمع الريفى،ويعتمد ذلك على مدى قوة ورسوخ التقاليد والأعراف التى يلتزم بها افراد المجتمع ، ففى المجتمع الريفى حيث للدين سطوته وللأعراف والتقاليد تأثيرها القوى فى سلوك الأفراد من خلال التنشئة الاجتماعية لأبناء الجماعة،تعلل الجماعات الرافضة لمتابعة الأزياء هذا الرفض بضرورة التمسك بالدين والتقاليد فى المجتمعات الشرقية التى تؤكد على أهمية الاحتشام فى الزى ، وتنتقد بعض القيم التى ترتبط بالأزياء مثل التعرى والشعور بالكبرياء والتميز عن الآخرين، وتؤكد هذه الفئة ايضا ضرورى ارتداء مايرضى المجتمع ممثلا فى الأغلبية المتمسكة بالتقاليد ، وان كان ذلك لا يمنع من وجود أفراد يجاهرون بعدم اقناعتهم بالعادات والتقاليد السائدة ويرغبون فى تغييرها مبررين

ذلك بان الجسم ملك خاص للفرد وله الحرية في الطريقة التى يتم بها تغطية هذا الجسم انما تخضع لذوق الفرد ولا دخل للمجتمع بها.

اما فى المجتمع الحضرى فقد كانت متابعة الأزياء من المسائل التى اجمعت عليها الآراء تقريبا وكان التبرير الذى قدم هذه المتابعة ضرورة أن يكون الإنسان انيقا وان يكون مظهرة جميلا يحقق له الشعور بالفخر والرضي عن نفسه، وإذا كان هناك تعارض بين الأزياء ومنظومة القيم فان الغلبة فى النهاية ستكون للموضة التى يستقبلها المجتمع لتصبح نمطا سائدا على نطاق اوسع يأخذ شكل الالزام والسلوك الضرورى للنجاح فى العمل وفى علاقة الإنسان بباقى أفراد المجتمع.

نتائج البحث:

تم من خلال هذا البحث التوصل إلى النتائج الاتية:

1. إن دراسة الأزياء . أو الطراز السائد من الزى الذي يتمتع بالشعبية في فترة معينة . هي دراسة حديثة نسيبا يجب الاهتمام بها باعتبارها دراسة في التغير الثقافي والاجتماعي كما ينعكس في واحد من اهم جوانب الثقافة المادية وهو الزى الذي يعبر بدوره عن الهوية الثقافية للمجتمعات البشرية المختلفة.

2. إن مثل هذه الدراسة تحتاج . بسبب الطبيعة الخاصة لموضوعها وما يرتبط به من عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية . إلى استخدام منهجية تستمد من مناهج البحث في العلوم المختلفة عددا من الآليات أو الوسائل التي لا يمكن أن تندرج تحت اي منهج واحد،فتعدد التخصصات العلمية التي يمكن أن يمثل زى الإنسان احد اهتماماتها يترتب عليه منطقيا تعدد المناهج أو الطرق المستخدمة في بحث الظاهرة ،ومن هنا فان تحديد اطار العمل ، ووضع التساؤلات ،وملاحظة الظاهرة واللقاءات الشخصية ،والوصف والتحليل ،كل ذلك يمثل اليات لها قيمتها عند دراسة موضوع كموضوع الأزياء.

3. تعتبر الأزياء . من حيث هي ابتداع أو تقليد لشكل من الاشكال الزى ،تغيرا مقصودا في مظهر الإنسان وسلوكه يحمل رسالة لجميع أفراد المجتمع بان احتكاكا ثقافيا قد حدث وانه لابد للمجتمع من أن يستجيب لهذا الاحتكاك بالقبول أو الرفض ،وتعتبر استجابة المجتمع أو بعض قطاعاته للموضة خطوة أولى نحو تعديل أو إعادة صياغة الهوية الثقافية للمجتمع.

4. إن الاستجابة السلوكية للتغيرات التى تطرأ على ملابس الإنسان تحت مسمى الأزياء تكون في المجتمع الحضري اسرع منها . وابعدا تأثيرا . في المجتمع الريفي

،وذلك بحكم قوة ورسوخ التقاليد في المجتمع الثقافي المغلق في مقابل تراخي قبضة هذه التقاليد في المجتمع الحضري وانفتاحه على المجتمعات الأخرى.

5. تختلف العوامل التي تحد من انتشار الأزياء في المجتمع الريفي عنها في المجتمع الحضري ، فحين يلعب الشعور الديني والاحساس بسطوة التقاليد (وهو ما يتمثل في الاحساس بالخجل من مخالفة التقاليد ومتابعة الأزياء) دورا مؤثرا في انتشار الأزياء في المجتمع الريفي ، فان العامل الاقتصادي هو الذي يحدد مدى قدرة الفرد على متابعة احدث ما تاتي به الأزياء في المجتمع الحضري.

الهوامش

1-ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب ، عالم الكتب القاهرة ، ط 1،1988،ص67

2-نفس المرجع، ص74

3-غسان على نيازى التل، دراسات فى المجتمع العشائرى، دارالكندى للنشر ،1999، ص51

4-نفس المرجع، ص97.

5- مصطفى عمر حماده ، دراسات انثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2008 ،ص146

6-ثريا نصر، مرجع سابق،ص145

7- فاروق مصطفى اسماعيل، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ،1984 ،ص64.

8- محمد عبده محجوب ، يحيى مرسى عبيد ، دراسات حقلية فى مصر وليبيا ، دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية،2005، ص147

9-نفس المرجع، ص171

10-فاروق مصطفى اسماعيل،مرجع سابق،ص82

11-ثريا نصر، مرجع سابق،ص151

12-نفس المرجع، ص214

13-غسان على نيازى التل،مرجع سابق،ص79

14- نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية ، جامعة الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1984، ص184.

15-نفس المرجع،ص193

16- ايكة هو لتكرانس ، قاموس الانثروبولوجيا والفلكور ، ترجمة محمد الجوهرى، دار المعارف ،مصر 1972. ص246